# مجلة

# العلوم الإنسانية

علمية محكّمة - نصف سنوية

## Journal of Human Sciences

تصدرها كلية الآداب / الخمس

جامعة المرقب. ليبيا

Issued by Faculty of Arts - Alkhums - Elmergib University - Libya


29

العدد

التاسع

والعشرون

سبتمبر

2024م

تصنيف معامل التأثير العربي 2024م (2.05)

تصنيف معامل ارسيف Arcif 2024م (0.0185)

تصنيف الرقم الدولي (ISSN/2710-3781)

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية (2021/55)

# ملامح حركة التجارة في دولة بنى زيري الصنهاجية 262- 443هـ/ 972- 1050م)

إعداد: د. عبد المنعم المدني الكبير•

د.محمود عبدالمجيد مجبر•

**الملخص:**

دولة بنى زيرى ورثت أملاك الفاطميين في أفريقيا بداية من عام 361هـ/971م. وينتسب الزيريين إلى قبيلة صنهاجة الحميرية، وهي واحدة من أهم قبائل المغاربة، ويعتبر زيرى بن مناد الصنهاجي أول من ملك من الصنهاجية بالمغرب الأوسط، حيث إنه كان واليا على تاهرت ومواليا لملوك العبيديين الفاطميين، وقد اتخذ زيرى مدينة أشير عاصمة للصنهاجيين، واعتبرها الفاطميون الحصن المتقدم الذي يحمى الدولة من أعدائها، خاصة قبيلة زناتة.

وعوضاً على ذلك تمثل أشير مكاناً يجمع أرباب المهن والحرف المختلفة من التجار خاصة، إضافة إلى الصناع والزراع وأهل العلم. المنطقة بوجه عام غنية بمواردها الاقتصادية التي تتمثل في المنتوجات الزراعية، وثرواتها المعدنية التي سهمت في خلق العديد من المدن الساحلية والداخلية الشهيرة، مثل سوسة والمهدية وتونس وجربة وباجة وقابس، فبعض المدن الساحلية المشار إليها، أصبح بعضها موانى مهمة سامت في تنشيط حركة التجارة الداخلية والخارجية.

**(الكلمات المفتاحية:** بنى زيرى- قبيلة زناتة- الدولة- الاقتصاد )

**Abstract:**

The Banu Ziri state inherited the Fatimid properties in Africa beginning in 361 AH/971 AD. The Zirids belong to the Sanhaja Himyarite tribe, which is one of the most important Moroccan tribes. Ziri bin Manad al-Sanhaji is considered the first Sanhaja king in

• أ. هـ .ت ، قسم التاريخ ، كلية التربية ، ترهونة . جامعة الزيتونة

• أ. هـ .ت ، قسم التاريخ ، كلية االاداب ، الخمس ، جامعة المرقب .

central Morocco, as he was the governor of Tahert and loyal to the Ubaid Fatimid kings. Ziri made the city of Asher the capital of the Sanhajis, and the Fatimids considered it the advanced fortress that protected the state from its enemies, especially the Zenata tribe, both internal and external.

**المقدمة:**

يعتبر النشاط التجاري في دولة بنى زيرى الصنهاجية من أهم الأنشطة في البنية الاقتصادية في هذه الدولة، التي احتلت مساحة جغرافية كبيرة في خارطة المغرب الإسلامي في العصر الوسيط. وإذا ما تتبعنا حدود هذه الدولة فنجد أنها تمتد من برقة[1] شرقا، إلى قسنطية[2] غربا، حيث تقدر المساحة بينهما بنحو 44 مرحلة، كما تمتد الإمارة الزيرية جنوباً إلى الحد الذي تتاخم به الصحراء. وهذا الموقع الجغرافي المهم أهلها بأن يكون لها دور مميز في حركة التجارة الداخلية والخارجية وذلك بفعل حالة الاستقرار السياسي لهذه الدولة في المقام الأول.

ودولة بنى زيرى ورثت أملاك الفاطميين في أفريقيا بداية من عام 361هـ/971م. وينتسب الزيريين إلى قبيلة صنهاجة الحميرية، وهي واحدة من أهم قبائل المغاربة، ويعتبر زيرى بن مناد الصنهاجي أول من ملك من الصنهاجية بالمغرب الأوسط، حيث إنه كان واليًا على تاهرت ومواليا لملوك العبيديين الفاطميين . وقد اتخذ زيرى مدينة أشير عاصمة للصنهاجيين ، واعتبرها الفاطميون الحصن المتقدم الذى يحمى الدولة من أعدائها، خاصة قبيلة زناتة، وعوضاً على

[1] برقة مدينة متوسطة تقع بين الاسكندرية والقيروان بينها وبين الأولى 220 فرسخا وبينها وبين الثانية 225 فرسخا . وتتميز بتربتها الحمراء الخصبة ، وتكثر بها زراعة القطن وهو من أجود الأنواع، وتنتشر بها دباغة الجلود، وهي أول محطة ينزل القادم من الإسكندرية إلى القيروان، ياقوت الحموي ،معجم بلدان / جـ1، در صادر، بيرون، 1977، ص 389.

[2] حققت الدولة أعلى معدلات لها في الإرادات المالية بفضل حركة التجارة الداخلية والخارجية وذلك بفعل حياة الاستقرار التي شهدتها الدولة في فترتها الأولى .

ذلك تمثل أشير مكاناً يجمع أرباب المهن والحرف المختلفة من التجار خاصة، إضافة إلى الصناع والزراع وأهل العلم، المنطقة بوجه عام غنية بمواردها الاقتصادية التي تتمثل في المنتوجات الزراعية، وثرواتها المعدنية التي سهمت في خلق العديد من المدن الساحلية والداخلية الشهيرة، مثل سوسة والمهدية وتونس وجربة وباجة وقابس. فبعض المدن الساحلية المشار إليها، أصبح بعضها موانئ مهمة سامت في تنشيط حركة التجارة الداخلية والخارجية، أما المدن الداخلية مما أشرت إليه فيتحكم بعضها في طريق القوافل التجارية القادمة من أفريقيا إلى السواحل الشمالية والشرقية، ومن ثم إلى المدن الأوربية، محملة بالذهب والعاج، وهذا في حد ذاته سببًا من الأسباب الذي أدى إلى الانفصال عن الدولة الفاطمية بعد انتقالها إلى مصر والتحرر من تبعيتها .

والأنشطة الاقتصادية المتمثلة في ممارسة الزراعة على نطاق واسع استخراج المعادن وتصنيعها بالإضافة إلى ممارسة حرفة الصيد البحري. تمثل في مجملها أنشطة اقتصادية، انعكست على حركة التجارة بوجه عام، حيث جرت عمليات تمثلت في انتقال السلع والبضائع من مدينة إلى أخرى في حركة تجارية متكاملة.

**أهمية الدراسة:** إن حركة التجارة تكتسي أهمية بالغة، إذا ما أردنا التعرف على أبعاد البنية الاقتصادية، وهذا ما دعانا إلى اختيار هذا الموضوع، حيث من الصعب أن تجد بحثا متكاملاً، يتناول موضوع التجارة في هذه الدولة، وكل ما هنالك مجموعة من المواضيع المتداخلة في إطار البناء الاقتصادي للدولة الزيرية، كما أن هذا البناء خلق نوعًا من الترابط بين المدن الزيرية، وبالتالي حققت هذه المدن عائدات مالية كبيرة للدولة انعكست على مشاريعها العامة، بل خلقت نوعًا من الرخاء العام، ورفاهية مطلقة خاصة لأمراء الدولة ووزرائها وعلمائها، كما أن الشريحة نفسها وهي التجار أصبحت شريحة ضمن الشرائح المترفة. وبناء على ما تقدم يمكن دراسة هذا الموضوع من جوانب ثلاثة:

أولها– الطرق التجارية في الإمارة ودورها في تنشيط وتفعيل الحركة التجارية في الإمارة ودورها في تنشيط وتفعيل الحركة التجارية.

وثانيها– حركة التجارة الداخلية والخارجية للدولة.

وثالثها– المعاملات التجارية داخل الدولة وخارجها والبحث في مجمله هو عبارة عن ملامح فقط للحركة التجارية وليس جُلها، حيث لا يوجد على الاطلاق موضوع متكامل من جميع النواحي، وفى ذات الوقت هو محاولة من المحاولات لأثراء البحوث التي تعتني بهذا الجانب.

**أولا: الطرق التجارية في الإمارة الزيرية ودورها في الحركة التجارية**

تمثل الطرق التجارية في إمارة بنى زيري الصنهاجية عصب النشاط التجاري في الإمارة، فعن طريقها يتم ربط مدن الإمارة الزيرية بعضها ببعض[1]. ومن ثم يتم نقل السلع والبضائع والمنتوجات المتنوعة بين هذه المدن في حركة تجارية ذاتية. وعندما نتحدث عن هذه الطرق يجب أن نفرق بين نوعين فيها. النوع الأول يربط الإمارة بغيرها من الإمارات الأخرى في المغرب الإسلامي، بالإضافة إلى مناطق المشرق العربي، وجنوب الصحراء الكبرى. وأول هذه الطرق طريق شمال أفريقيا والذي يبدأ من مصر إلى أفريقيا ( برقة ثم طرابلس.. ثم المغرب الأوسط ، حيث تقع دولة بنى حماد، ثم المغرب الأقصى، ثم ينحدر إلى مصب نهر السنغال، وتقع إمارة بنى زيري في مسار هذا الطريق البحرى، وهو طريق برى وبحرى، مما انعكس على تجارته الداخلية. والطريق الثاني هو طريق صحراوي يبدأ من واحات مصر الداخلية، ويتجه غرباً حتى المحيط الأطلسى، ويمر بالمدن التي تقع في جنوب الإمارة الزيرية خاصة مدينة القيروان. وطريق ثالث وهو طريق القوافل، ويبدأ من المغرب الأقصى ماراً بدولة بنى حماد في المغرب الأوسط، ثم يسير في نفس

[1] حسن إبراهيم حسين ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، جـ4 مكتبة النهضة العربي ، اقاهر ، 1977م، ص379.

الاتجاه إلى جنوب الإمارة الزيرية، وجنوب طرابلس حتى بلاد برنو غربي بحيرة تشاد، ومن جنوب الإمارة الحمادية إلى بلاد الهوسا شمالي نيجيريا، ويستمر من جنوب مراكش إلى أقصى نهر السنغال ومنحنى نهر النيجر 1.

وشبكة الطرق المشار إليها تعطى الدلالة على مدى أهمية موقع الإمارة الزيرية في خارطة المغرب الإسلامي، مما يعطيها أسبقية اقتصادية وسياسية أيضاً إضافة إلى أن هذا الموقع يعطي دلالات عل عمق العلاقات التجارية بين الإمارة وغيرها من الدول الصحراوية التي تقع إلى جنوبها والتي تتعاطى تجارة الرقيق والذهب والاحجار الكريمة ولا ننسى في هذا السياق الطريق البحرى الذي يحاذى الطريق البري والذي كان له دور في النشاط التجاري للإمارة مع غيرها من الدول. أما النوع الثاني فهو الطرق الداخلية. وهذا النوع له أهميته من حيث ربط مدن الإمارة لتحقيق التكامل التجاري فيها. وبالنظر إلى خارطة المدن الزيرية في إفريقيا تحتل القيروان موقعاً متميزاً كونها مصر الإقليم بلا منازع، حيث ترتبط بغيرها من المدن بواسطة شبكة من الطرق الداخلية، لاسيما ارتباطها بمدينة سوسة على ساحل البحر ، ثم قرطاجة، وتونس في أقصة الشمال، على ساحل البحر أيضاً، ثم طريق آخر يربط القيروان ببونة (عنابة)، غرب بنزرت، كما يخرج طريق آخر من القيروان ماراً بمدن الدول الحمادية الجنوبية (قسنطينة) اصطيف، بسكرة، تاهرت، ثم تلمسان، ثم يصل إلى الحسية وتطوان وسبتة في المغرب الأقصى، كما يخرج طريق من القيروان إلى مدن جنوب الإمارة الزيرية مثل سبيطلة. وقفصة وقصطيلية2. هذا من جهة ومن جهة أخرى يربط طريق داخلي آخر بين مدن طرابلس وقابس وصفاقس والمهدية وسوسة وتونس وبنزرت وقرطاجنة حتى بونة

[1] أبو عبدالله أحمد المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة ليدن المحروسة، ط2، 1909، ص 234.

[2] سيف الدين لكاتب، اطلس تاريخ العرب والإسلام، دار الشرق العربي، ط2، بيروت، 2007م، ص51.

(عنابة). هذا بالإضافة إلى طرق آخر يربط بين قصطيلية ثم قفصة وتبسة وبسكرة وبغاي حتى باجة وطبرته في الشمال، وتنحصر بين هذه النقاط مجموعة كبيرة من المدن الصغيرة والقرى المتباعدة 1. وقد نشطت حركة التجار بين الشمال والجنوب من خلال هذه الطرق خاصة الطريق الرابط بيم أفريقيا السوداء، ومدن المغرب الإسلامي، والذي أهلها لقيام علاقات تجارية ممتازة مع مناطق وراء تلك الصحراء. ورغم قلة المعلومات حول هذه التجارة، إلا أنه بالاعتماد على الفتاوى الدينية لفقهاء ذلك الزمن، أمكن استخلاص أن التجارة مع بلاد السودان والتي تخرج إليها القوافل على مدار السنة كانت نشطة 2. ومن هذه الطرق: الطريق الغربي ويمتد من سجلماسة إلى ولاته ثم تمبكت حتى وجاو3. ثم طريق المغرب الأوسط فيما اصطلح عليه الباحثون: ويمتد من تلمسان إلى توات إلى تمبكت 4. ثم الطريق الذي يبدأ من ورفلة إلى جاو، ويتصل هذا الطريق ببعض الموانى على البحر المتوسط كميناء بجاية 5. والطريق الأهم هنا، ذلك الطريق الذي يبدأ من واحة الجريد بإفريقيا ( تونس حاليا)، وغالبا ما تمر قوافله بطريق ورقلة، أو سوف أو غدامس6. وكذلك الطريق التي تبدأ من طرابلس الغرب على الساحل الليبي وتمر بغدامس

[1] روجي دى فورنو، حركة الموحدين في الغرب في القرن 12 ، 13 ترجمة أمين الطيبي – الدار العربي للكتاب، ليبيا، تونس، 1982، ص 57.

[2] أحمد بن يحيي الونشريسي، العيار المقرب واجامع مغرب من فتوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب ، جـ9، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2000، ص116، جـ10، ص135.

[3] إمطير سعد غيث، التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي، دار الرواد، بنغازي، 1996م، ص 116.

[4] إمطير سعد غيث، المرجع السابق، ص116

[5] المرجع نفسه، ص 116.

[6] الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999، ص 314.

ويمر فرع منه بفزان، ثم ينتهى في بورنو وجاو 1. ثم طريق مصر الذي يمر عبر واحة سيوه وزويلة، ثم قتاد مكة، ثم جاو ومنها إلى تمبكت. ومما يجدر ذكره أن أهمية هذه الطرق في التجارة بين شمال أفريقيا وجنوب الصحراء، كانت تخضع في كثير من الأحيان إلى قيام الدول وانهيارها في تلك البقاع الصحراوية، ففي البداية ومنذ العصور الإسلامية الأولى، كانت الطرق الغربية نشيطة، ثم بدأت تفقد أهميتها تدريجيا لصالح الطرق في شرقي السودان ووسطه في أواخر العصور الإسلامية2.

- القيروان:

تمتعت طرق التجارة في هذه المدينة بحماية خاصة لوجود نقاط تفتيش لحماية القوافل القادمة إلى القيروان والمغادرة 3 منها وهي تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: طرق مدن الساحل

ارتبطت القيروان بشبكة واسعة من الطرق البحرية التي تربطها بمدن الساحل وتتمثل في:

1- طريق طرابلس: يبدأ من طرابلس ماراً ببئر الحمالين وقصر الدروق وباجمت والفوارة وقابس والزيتونة وكتابة والكيسة ثم ينتهي في القيروان.

2- طريق سوسة: ويبدأ هذا الطريق من القيروان، وتسير فيه قوافل التجارة حتى تصل سوسة ويبلغ ستة وثلاثون ميلا 4 .

3- طريق تونس: ترتبط تونس بالقيروان بطريق طويل يمر بالبلدان فندني

---

[1] أمطير غيث، المرجع السابق، ص 116.

[2] الهادي الدالي، المرجع السابق، ص 114.

[3] صالح السباني، مملكة كانم برنو وعلاقاتها بأقطار الشمال الأفريقي من القرن الثالث إلى العاشر الهجرى/ التاسع الى السادس عشر الميلادى، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا ، جامعة محمد الخامس، الرباط،1988 ص43.

[4] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص5. السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المغرب الإسلامي، ص327.

ومنستير حتى يصل إلى القيروان 1 .

4- طريق قابس: وهو الطريق الذي يمر بمنطقة فرنو وسبيبة ثم القصر والمهدية 2 إلى القيروان.

5- طريق طبرقه: يربط القيروان بطبرقة طريق يمر بمينة المنستير وباجة وباسلي حتى يصل إلى القلاع بنزرت ومن طبرقة إلى مرسى تونس.

6- طريق مرسى الزيتونة: يربط من هذه المدينة والقيروان طريق يمر بمحانة وتيحس وقسنطينة وميله 3 .

7- طريق مرسى الدجاج: يمر هذا الطريق بالمسيلة ودارفور وسوق ماكس وسوق حمزة 4 .

8- طريق وهران: يمر بتانا بمنبت وجراءة، وقصر بنى سنان والجادة. وهناك طريق آخر يربط وهران بالقيروان ماراً بقسطيلية 5. بالإضافة إلى طريق بونة وطريق تنسى 6.

القسم الثاني:

1- طريق من الظهير الصحراوي:

---

[1] البكرى، مصدر سابق، ص34- 35.

[2] المهدية مدينة جليلة من مدن المغرب بناها عبدالله لمهدي في فترة حكمه، نظر الاندلسي، لحلل، جـ1 ، ص 456.

[3] مدينة أحاط بها البحر من ثلاث نواح، وهي زاهية الأسواق، الحموى، مصدر سبق، ج5.ص121

[4] يذكر الحموى أن حمزة مدينة بالمغرب بنها حمزة بن احسن بن علي بن لحسين بن علي بن ابي طالب . الحموى ، جـ2، ص 302.

[5] البكري، مصدر سابق، ص91

[6] المصدر نفسه، ص66

ارتبطت القيروان بشبكة من الطرق البرية ربطتها مع الظهير الصحراوي، ومن هذه الطرق:

أ. طريق نكور: ويربطها مع القيروان نهر كرط ونهر تمسمان وفلوع جادة إلى وادي ملوية إلى مدينة جراوه 1.

ب. طريق قلعة أبى الطويل: وهو الطريق الذى يربط القيروان بقلعة أبي طويل بوادي الرمل وسبيبة وقلعة الديك والسكة ومجانة ونهر ملاق 2.

ج. هناك طرق برية أخرى منها طريق أرشقول، وطريق قابس وطريق مجلمانية 3. وطرق السوس الأقصى وطريق زويلة .

د. طريق الشرق: كانت القيروان تتصل بدار الخلافة العباسية في بغداد بطريق برى، حيث ذكر ابن ضرواذبة أن الطريق بين بغداد والغرب كان بعيداً، ومأمونا فكانت القوافل تخرج من بغداد وتمر بالأنبار وهسيت والناورسة ووادي ( السباع والسرقة وحران والرها وسمباط والخابور وحلب وحمص ودمشق والرملة والفسطاط والإسكندرية 4، وبرقة ومنها إلى القيروان، بالإضافة إلى وجود حركة تجارية بين البصرة والقيروان. ويبدو إن طريق هذه التجارة تأخذ نفس الطريق البري المنطلق من بغداد. وترتبط القيروان بالفسطاط إلى ذات السلاس وقرنوط وكرم شربك 5.

---

[1] يذكر الحموى أن مدينة جراوة ناحية بالأندلس، الحموى، ج2، ص 17.

[2] البكري، مصدر سابق ص49

[3] الاصطخرى، المسالك والممالك، ص 46. المقدس، أحسن التقاسيم، ص 246. تقع مدينة سجلماته جنوب المغرب في طريق السودان. أنظر الحموى، مصدر سابق ، جـ3 ،ص192.

[4] الشريف الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة بريل، المدينة المحروسة، 1963، ص 284.

[5] الحبيب الجنحاني، التمويل الاقتصادي والاجتماعي في مجتمع صدر الإسلام، دار صادر، بيروت، 1985، ص134.

بناء على ما تقدم خلقت هذه الشبكة من الطرق حركة تجارية داخلية نشيطة، انعكست على مجمل الحياة الاقتصادية في الإمارة الزيرية .

## حركة التجارة الداخلية بين المدن الزيرية

حقق النشاط التجاري في الإمارة الزيرية ازدهاراً كبيراً بفعل شهرة مدنها ذات الخلفية الاقتصادية الفنية، فعلى سبيل المثال ترتب على الإنتاج الزراعي الوفير حركة تجارية نشطة، تمثلت في انتشار عدد من الأسواق خاصة في مدينة القيروان إحدى أهم المدن الزيرية، هذه المدينة التي يصفها الإدريس بأم أمصار، وقاعدة اقطار، وكانت أعظم مدن الغرب قطراً وأكثرها بشراً، وأيسرها أموالا وأوسعها أحوالا... وأربح تجارة، وأكثرها جباية وأنفقها سلعة، وأنماها ربحًا.. وبها أقوام قليلون تجارتهم يسيرة ومنافعهم نزرة 1. ولمدينة القيروان أهمية بالغة في وسط المشرق بالأندلس بجنوب أوروبا عن طريق موانى أفريقية، وأثر ذلك في تطور التجارة. خاصة وأن الأهمية التجارية للقيروان أخذت تزداد نتيجة وفرة المحاصيل الزراعية خاصة محصول الزيتون. ومدينة القيروان لم تكن مدينة تتجمع السلع والبضائع في أسواقها بل تعتبر كمدينة زراعية تنتج أضداد الفواكه المتمثلة في التمور والتين والتمر والاعناب والزيت، علاوة على إنتاجها الوفير من اللحوم. وتتميز هذه المنتوجات بكثرتها علاوة على رخص أسعارها، حيث يصل سعر خمسة أمناء من اللحم بدرهم واحد 2، أما التين فبعشرة والأعناب والتمور فما دون ذلك 3.

وفي موضع يسمى بالسماط الكبير، وهو على المرجح أهم أحد الأسواق في المدينة يتم تسويق الزيت الذي يحفظ في مراجين أعدت لهذا الغرض4، ونظراً لكثرة

---

[1] البكرى، مصدر سابق ص6.

[2] المسن يساوي رطلين وعشرة نينات.

[3] مقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مصدر سابق، ص 234، 235.

[4] المصدر نفسه

الدكاكين في هذه المدينة، واتساع نطاق النشاط التجاري تجنى بواسطة عمال يقومون بعملية الجمع سنوياً1. وتعتبر صبرة وصفاقس والمهدية وسوسة وتونس وبنزرت وصبرته ومرسى الخرز وبونه وباجة ومحودة وقفصة مدنا تقع في دائرة النشاط التجاري لمدينة القيروان. وينبغي الإشارة في هذا السياق إلى وجود محطات تجارية لتجميع السلع والبضائع، حيث تتوقف القوافل التجارية عندها والقادمة من القيروان أو المغدرة لها، بمعني أن هناك عمليات واسعة للشحن وتفريغ البضائع. وتقع إلى جانب مدينة القيروان مدينة (قلشانة، وهي مدينة تنتج كميات وافرة من التين والبقول والجزر والتي زودت بها أسواق القيروان 2. ويذكر المالكي في كتابه رياض النفوس عددًا من الأسواق في مدينة القيروان منها على سبيل المثال: سوق الدوران والمتخصص في تجارة الماشية والإبل والحمير، حيث ينشط هذا النوع من التجارة، وبالإضافة إلى هذا السوق يوجد سوق الخبازين، وفي هذا السوق يتم بيع الخبز بأنواعه بأسعار زهيدة، وسوق للملابس والمنسوجات، وبجانبه سوق العطارين3. وتشتهر القيروان بوجود مجموعة أخرى من الأسواق منها سوق ابن هشام المتخصص في بيع البقوليات والزيت4. ومن أكبر أسواق القيروان سوق الأحد وتقع هذه السوق غربي المدينة، وتشتهر ببيع الأقمشة بجميع أنواعها والفخار، كما تنتشر بمدينة القيروان ما يعرف باسم الفولات وهي عبارة عن أكواخ مشيدة بالحجارة ومسقفة بأغصان الأشجار والقش وتباع فيها البقول بجميع أنواعها، وكرا، الفوالة لا يتجاوز ربع درهم في الشهر 5. كما تنتشر مجموعة من الأسواق الأخرى

[1] الهادي روجي إدريس، تاريخ أفريقية في عهد بنى زيرى من القرن 10 إلى القرن 12، ترجمة حمادي الساحلي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1912، ص29.

[2] الهادي روجي إدريس، مرجع سابق، ص29.

[3] عبدالله محمد المالكي، رياض النفوس، ج1، ترجمة بشير البكوش، دار صادر، بيروت ص 337.

[4] المالكى مصدر سابق، ص293

[5] المصدرنفسه، ص 295

منها على سبيل المثال. سوق العبيد وتعرف بالبركة، وسوق الكتانين وسوق الدجاج وسوق الكعك 1. وسوق الخزازين والزجاجين والسراجين 2، إضافة إلى الرحبة وهو المكان الواسع الذي تباع فيه الأسقاط، وهي الأشياء القديمة والمستهلكة. ومما يجدر ذكره أن الخليفة الفاطمى المنصور وابنه المعز قد قاما بتحويل هذه المتاجر وبعض الصناعات في العام 405هـ إلى مدينة المنصورية، غير أن هذه المدينة استأنفت نشاطها التجاري أثر وصول المعز بن باديس إلى الحكم. ونود أن نشير بوجه عام بأنه لا يمكن حصر هذه الأسواق فهى تتعدد وتتنوع .

وبالرغم من التطور الذي شهدته صبرة (المنصورية)، وزويلة (المهدية) فإن القيروان لم تفقد دورها الاقتصادي في عهد بنى زيرى، كما أن إنشاء الدولة الحماوية لم يؤثر على كثافة المبادلات التجارية بين المدن الحماوية. فالقيروان تمثل مركزًا ومحط رحال للقوافل التجارية، وسوق ضخمة تجتذب وتوزع المنتجات الواردة سواء من مناطق الساحل أو المناطق الداخلية الأخرى. ومن مدن الإمارة الزيرية والشهيرة والمنشطة لحركة التجارة الداخلية مدينة تونس في الشمال الغربي وتبعد عن القيروان مسافة مرحلتين. ومما يميز هذه المدينة معاملاتها التجارية المقتصرة على شقات العرب وأمرائهم وتتصف بكونها مدينة مفتوحة يلجأ إليها القريب والبعيد وهي غنية بالرخام الجيد والمرمر الخالص 3، وبالرغم من إنتاجها الزراعي الوفير من الحنطة والشعير إلا أنها في حاجة دائمة إلى القمح والحبوب الأخرى اللازمة لصناعة الخبز الذي تشتهر به بالإضافة إلى حاجتها للسمن والعسل والفواكه التي يجلبها التجار لها من مدينة قرطاجنة، كما تشتهر مدينة بنزرت القريبة بإنتاج وتسويق الأنواع النادرة من الأسماك التي تصاد من سواحلها وبحيراتها العجيبة في

[1] الهادى روجة، مرجع سابق، ص295

[2] البكرى، مصدر سابق، ص219.

[3] عبدالواحد المراكشي، المعجب في تلخيص المغرب، ترجمة سعد العريان، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، (د.ت)، ص430.

كل هلال والمتمثل في البورى والقاجوج والمحل والشبلة والقاروض والطلنت والاشبيلينيات 1.

ولنعد إلى مدن وقرى القيروان والتي تتمثل في حمونس وزعزان وحلولا وطاقجينة، ونقاوس. وتقع هذه المدن في السهول المحيطة بمدينة القيروان، وتشتهر هذه المدن بإنتاجها الزراعي الوفير من التين واللوز والزيتون والعسل وقصب السكر والبقول والحبوب بأنواعها، كما تشتهر بأسواقها العامرة والمتخصصة خاصة جبل وسلات في القيروان، والمتخصص في تجارة الأبقار والغنم والبغال والخيل. وتشتهر مدينة جلولا بتجارة العسل والبقول وقصب السكر الذي ينقل يومياً إلى مدينة القيروان2. غير أنه من الملاحظ أن مدينة توزر تفتقر إلى إنتاج حبوب الطعام بسبب طبيعة الأرض الغير ملائمة ويعوض هذا النقص من الأسواق الأخرى القريبة. ولا تقل مدينة قابس أهمية عن المدن السابقة فهى مدينة ذات خصوصية من حيث كونها مدينة ساحلية يستقبل مرفئها السفن القادمة من جميع أنحاء العالم. في حين لاحظ الإدريسي " أن مرساها في البحر ليس بشيء لأنه لا يستر من ريح وإنما ترس القوارب بواديها، وهو نهر صغير به المد والجزر، وترسى به السفن الصغار وليس بكثير السعة 3، وكانت المدينة تصدر كميات كبيرة من الفواكه للقيروان وتتمثل في الزيتون والموز والتفاح والتوت والتمور. وكانت قابس المدينة الوحيدة في أفريقية التي تنتج نوعاً ممتازا من الحرير، بالإضافة إلى الجلود 4 التي تدبغ بالقرظ والتي تباع في سائر بلاد المغرب وتتميز بالنعومة والرائحة الزكية مثل الجلد الجرشي 5. ومن قابس إلى جزيرة جربة التي تنتج أجود أنواع التفاح وهي

[1] الإدريسى مصدر سابق، ص285

[2] أبو القاسم النصيبي ابن حوقل، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة بيروت، 1979م، ص86.

[3] الادريسى مصدر، سابق، ص285

[4] البكري، مصدر سابق، ج2 ، ص

[5] الادريسي، مصدر سابق، ص 125. الهادي روجي، مرجع سابق، جـ1، ص 63.

فاكهة تهافت عليها النصارى الزائرين لهذه الجزيرة، وقد كانوا ينقلونه إلى جزيرة صقلية يتحفون به ملوكهم حتى قل بالجزيرة .

أما مدينة طرابلس فقد كانت تزخر بأسواقها العامرة، حيث يسوق الخوخ والكمثرى بالإضافة إلى الصوف، وطبقات الأكسية الفاخرة ذات اللون الأزرق، والأكمل والتي تجلب من جبل نفوسة، والأكسية " والسود والبيض الثمينة إلى مراكب تحط ليلاً ونهاراً، وترد بالتجارة على مر الأوقات والساعات صباحاً ومساءً من بلد الروم وأرض المغرب بضروب الامتعة والمطاعم 1.

وتكمن أهمية هذه المدينة في وقوعها على مسارات الطرق البحرية والبرية طيلة العصر الوسيط، إذ كانت ترسو بمرافقها السفن المبحرة به أفريقية إلى الإسكندرية والقسطنطينة وغيرها من المدن التجارية الإيطالية وبرشلونة والمرية، كما مثلت سوقا تتجمع فيه بضائع المجالات الداخلية قبل وصفها، متحولة بهذا إلى منطقة استقطاب لمكان جبال تمر ونفوسة والجريد ونفزاوة ووارجلان 2. حيث تمر بها القوافل السودانية هذا بالرغم من صمت المصادر عن ذكر وصول تجارة الساحل الشهير بإنتاج الحبوب من مدن باجة ونيفاس والأنصاريين وجزيرة شربيك وفحص، أو دخول أهل الدواخل بالمغرب الأدنى إلى تلك المدن سالفة الذكر لاستجلاب الحبوب فإنه من المرجح ذلك ، ولا سيما أن هذه المناطق الداخلية كانت قليلة الإنتاج الزراعي من الحبوب، وهنا يذكر كلا من ابن حوقل والأدريسي بأن سعر الطعام في ذه المناطق في سائر الأوقات كان غاليا؛ لأنه يجلب إليها 3. ومما يجدر ذكره أن بعض المدن الزيرية بدأت تفقد أهميتها منذ أواخر العهد الفاطمي على الأقل باستثناء القيروان والمنصورية كمدينتين تجاريتين من الدرجة

[1] ابن حوقل، مصدر سابق، ص72

[2] ابن حوقل، مصدر سابق، ص72

[3] المصدر نفسه، ص69

الأولى، وفي هذا الصدد يقول ابن حوقل " أن المهدية قد ادركتها سنة 336هـ " وقد اختلت أحوالها والتأثت أعمالها وانتقل عنها رجالها، بانتقال ملوكها عنها وبعدهم منها، وكان أول نحس أضلها أبوزيد مخلد بن كيداء، وخروجه بالمغرب على أهلها، وأن ثالث المناحس عليها إلى الآن، وقد بقي بها بعض من رمق" 1. ويذهب البكرى إلى تأكيد تأثير ذلك بقوله:" إنه خلت أكثر أرباضها وتهدمت" ويصف ابن عذاري ما حدث في عام 395هـ/1007م ، قائلاً:" كانت بإفريقية شدة عظيمة انكشف فيها المستور، وهلك فيها الفقير، وذهب مال الغني، وغلت الأسعار، وعدمت الأقوام وجلا أهل البادية من اوطانهم ، وخلت أغلب المنازل فلم يبق لها وارث، ومع هذه الشدة وباء الطاعون هلك فيه أكثر الناس من غنى ومحتاج، فلا نرى متصدقاً إلا في علاج، أو عيادة مريض، أو اخذا في جهاز ميت، أو تشييع جنازة، أو انصراف من دفن. وكان الضعفاء يجمعون إلى باب سالم، فتحفر لهم أخاديد ويدفن المائة الأكثر في الأخدود الواحد، فمات من طبقات الناس وأهل العلم 2، والتجار والنساء والصبيان ما لا يحصى عددهم إلا خالقهم تعالى...

**تجارة العبيد:**

نشطت تجارة العبيد خاصة في مدن القيروان والمهدية وتونس، وذلك من خلال الغزو البحري 3. ولعل هذا ما يفسر كون معظمهم من النصارى، إضافة إلى تدفق أعداد الرقيق عبر معبر زويلة الصحراوي، وكانت تراعي حالتهم عند الشراء، وينظر إذا كان بهم عيوب أم لا من مرض أو رائحة كريهة أو كي بنار وغير ذلك 4. ويكون العبد أو الأمة من أهل البيت بعد شرائها، بل وقد تتحول

[1] المصدر نفسه، ص72

[2] أبو العباس أحمد بن أبي عثمان الشماخي، كتاب السير، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2009م، ص30.

[3] الهادي روجي، مرجع سابق، ج2، ص 71.

[4] ينظر في عيوب العبيد عند الونشريسي، ج6، ص 48.

أمة نتيجة لإنجابها لولد من سيدها إلى أم ولد، وبالتالي تتعزز مكانتها في الأسرة. وكان المعز بن باديس الذي اتخذ في عام 442هـ 1، ما يقرب من ثلاثين ألف مملوك، لما رأى من تقاعس صنهاجة من قتال زناتة 2. وكانت بعض النساء يقمن بأعمال التجارة، خارج الإمارة وداخلها، أو عن طريق المشاركة برأس المال واقتسام الأرباح 3.

**العملة المتداولة والأسعار:**

ويبدو أن التعامل بالدينار في إمارة بنى زيري جاء متأخراً نوعاً ما، وذلك إذا ما وضعنا في الاعتبار ظاهرة التعامل بالمقايضة، أي تبديل سلعة بسلعة أخرى، وهذا ما حدث في المدن الزيرية، ولا سيما المدن النائية أو بينها وبين غيرها في المدن الحمادية، كما سبق الإشارة في المبحث الثاني.

والتعامل بالمقايضة لا يعنى عدم وجود عملة متداولة، فقد ضرب الفاطميون ما بين عام 502/357 هـ دنانير بلغ قطرها 201 إلى 202 سم، غير أنه في سنة 442هـ فرض المعز بن باديس عملة جديدة وهو الدينار الزيري ويساوي 35 درهما، وكان يحمل على الوجه الأول عبارة ( لا إله إلا الله محمد رسول الله) أما الوجه الثاني فكتب عليه الآية" ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين "4. وقرر المعز إنزال أشد العقوبات بمن يتعامل بالدينار الفاطمي، وذلك فترة الانقلاب الزيري على العبيدين. أما عن وزن الدينار فهو " يزن من المثقال أعنى شعيرة، والسكة مدورة الكتابة، وله ربع صغير يأخذان بالعدد، والدرهم أيضا زل له نصف يسمونه القيراط وربع وثمن ونصف ثُمن يسمونه الخرنوبة يأخذ

[1] المصدر نفسه، ص37

[2] البكرى ، مصدر سابق جـ2، ص683، 684.

[3] ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، جـ1، ص369 وما بعدها.

[4] سورة آل عمرن، الآية 85.

الجميع بالعدد ولا يرخصون في المعاملة بالقطع وسنجهم من زجاج مطبوع ، كما ذكرنا من الأرطال، ورطل مدينة تونس اثنتا عشرة أوقية والأوقية اثنا عشر درهما1، أما عملتا الذهب والفضة، فقد كانت مستقلتين الواحدة تجاه الأخرى، من حيث المبدأ. " فكل عملة منهما لها قوة مرائية تامة، عندما ترد في الرسم المنشيء للالتزام أو عندما تفضلها العادة الجاري بها العمل، على الأخرى"2 ملاحظة أن الصفقات قبل عزوة بنى هلال كانت تتم على حد سواء بالفضة أو الذهب أو العروض. وليس من لمؤكد أن يكون الأمر كذلك فيا بعد لاسيما في المهدية بسبب قلة الذهب3. أما عن المصايف، فقد كانت منتشرة في المدن الزيرية خاصة مدينة المهدية .

وتشير برشفيك بمعلومات حول الأهمية التي يكتسبها المصرف في العمليات التجارية والتعامل بالأوراق المالية4، وكان الكتانون والقطانون والزياتون والجزارون والخياطون يدفعون ما تحصلوا عليه من دراهم للصيارفه الذين يتعهدون بتسديدها اليهم فيما بعد بالدنانير5. ويمكن أن نستنتج من ذلك أن المصارف كانت تتحكم في جميع العمليات التجارية وتحابي التجار الكبار على حساب الصغار الذين هم في وضع غير ثابت. أما التعامل بالصكوك فهناك إشارات ربما تحفزنا للبحث من أنواع هذه الصكوك ومدى انتشار التعامل بها في الإمارة الزيرية، وهذه الصكوك استعملت في المعاملات الشخصية الخاصة بين الأفراد، بل لقد جرى استخدامها في أسواق النخاسة، حيث يبدو أن لكل غلام أو جارية من الرقيق عهده، أو صكا

[1] المقدسي، مصدر سابق، ص 230

[2] روبار برنشفيك، ت أفريقيا العهد الحفصى من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، جـ2، ترجمة حمادي الساحلي رواد الغرب الإسلامي ، بيروت ، ص 74.

[3] الهادي روجي، مرجع سابق، جـ2، ص 256.

[4] المرجع نفسه، ج2، ص258

[5] أي باعة الكتان ولقطن والزيت واللحم والحبوب.

بحوزة المشترى يثبت فيها ملكيته لهؤلاء الرقيق الذين 1 اشتراهم وفيما يخص المغرب الإسلامي، فقد ذكر ابن حوقل أنه رأى صكا كتب بدين على محمد بن سعدون. " بأود غشت – مراكش وشهد عليه العدول باثنين وأربعين ألف دينار"2. وربما يعطي هذا الصك دلالة على احتمال استخدامه في إمارة بنى زيرى وفيما يتعلق بمستوى المعيشة والأسعار، فقد كانت متقلبة بمعنى أن هناك سنوات نعمت فيها المدن الزيرية بالرخاء نتيجة رخص الأسعار، سنوات أخرى عمت المجاعة تلك المدن، وبالنسبة إلى الرخاء ورخص الأسعار، ففي حدود سنة 408هـ هناك أيضحات حول مستوى المعيشة، فدرهمين تكفى الحرفي شهراً كاملاً ، كل يوم ينعق ضروبه، وكان سعر الزيت في صفاقس يتراوح حسب السنوات بين ستين ومائة فغير مقابل دينار واحد3. وبلغ سعر الثورين بإحدى وأربعين مثقالاً ذهباً، وسعر البغل أو الجمل لا يتجاوز تسعة دنانير4، ويشير بن حوقل على الرخاء الذي كان سائداً في المغرب وعلى بخس الأسعار. ففي مدينتي قابس وقسطيلية كان حمل الجمل بدرهمين. وفي مدينة القيروان بلغ سعر عشرة أرطال من اللحم أو عشرين رطلاً من التين درهما واحداً وأقل من ذلك سعر الزبيب والتمر والعنب والزيت5.

**التجارة الخارجية:**

نظرًا لموقع إمارة بنى زيري عند مفترق طرق القوافل التجارية والتي أشرنا إليها في البداية، علاوة على موقع مدنها المتميز على ساحل البحر المتوسط، مما

---

[1] عبدالعزيز الدورى، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجرى ، مركز دارسات الوحدة العربية ، ط2، 1955، ص 1995م، ص 199.

[2] عبدالعزيز الدورى، تاريخ العراق الاقتصادي، ص 199.

[3] المصدر نفسه، ص70

[4] فتوى المازرى، مصدر سابق، جـ8، ص115، 116.

[5] المقدسي، مصدر سابق، ص 28، 27.

أعطاها أهمية في التجارة الخارجية، أدى هذا إلى نمو علاقاتها التجارية بينها وبين جيرانه شرقاً وغرباً وشمالًا.

إن هذا البعد الأفريقي للمنطقة وعلاقاتها ببلاد المشرق، حيث تعتبر مصر منطق العلاقات بين أحوض الغربي من البحر البيض المتوسط وبين الشرق الأقصى حيث نشطت المبادلات التجارية الواردة خاصة من الهند تشترى مقابل بضاع أفريقية ومصرية. وقد لعب تجارة القاهرة دوراً مهماً في هذه التجارة1. وتتحدث بعض الفتاوى إن تاجراً يهودياً يحمل لقب اللبدي نسبة إلى مدينة لبدة غرب طرابلس كان قد استقر بالقاهرة / حيث اشترى جزءًا من منزل بمبلغ 300 دينار، وقبل ارتحل إلى الهند ذهب إلى المهدية، حيث سلم إليه الديان،( القاضي بمحكمة الأخبار) المدعو ابن لبرات كمية من المرجان، واشترى كمية أخرى لحسابه الخاص. ولما رجع إلى القاهرة تسلم السلع التي عهد بها اليه الوكيل والمتمثلة في الأقمشة وبالخصوص الكتان الروسي الذائع صيته في الهند، والأواني النحاسية والفضية والمرجان، مع كيس نقود فيه عشرون ديناراً من الذهب حديثة الضرب. وأمره الوكيل بتسليم نصف تلك السع إلى وكيل عدن الذى سيشترى في مقابلها بهار مالابر، وتوجيه النصف الآخر على مدينة إنهيلورة الواقعة شمال بومباي لتبديله بالبرنيقة2.

فسار اللبدى نحو عالية النيل، إلى أن وصل إلى مدينة قوس في الصعيد، ومن هناك اجتاز الصحراء على ظهر جمل إلى أن وصل إلى ميناء ميذاب الذي تنطلق منه السفن في اتجاه الهند. وقبل الوصول إلى المكان المقصود، قام اللبدي ببعض الصفقات المتعلقة بالنسيج والمخدرات، ونقل معه إلى الهند كمية المرجان التي سلمه إليه كل من ديان المهدية، ووكيل القاهرة بالإضافة إلى الكمية التي

[1] بن خرداذبة، المسالك والممالك، مكتبة مثنى، بغداد، (د.ت) ، ص، 224,

[2] الونشريسي، مصدر سابق، ص 387.

اشتراها لحسابه الخاص، فبوجه عام كان حجم المبادلات التجارية كبيراً بين المدن الساحلية الزيرية، ونظيراتها المصرية خاصة بين المهدية والإسكندرية وكانت القوافل القادمة من مصر تمر على قابس التي كان ميناها تتردد عليه السفن من جميع أنحاء العالم1.

وأحب أن شير إلى نقطة مهمة وتتمثل في أهمية مدينة طرابلس في تجارة البرية ، فقيل عن تجارها أنهم يسافرون براً وبحراً ، حتى كانت المراكب تحط عليها ليلاً ونهاراً وترد إليها التجارة على مر الأوقات والساعات صباحاً ومساءاً، فبلاد الروم وأرض المغرب مليئة بضروب الأمتعة والمطاعم2. وعلاوة على توجه تجار إلى مصر ومكة وغيرها من مدن المشرق، ويتجه تجار المغرب الأدنى إلى بلاد السودان، حيث تتحدث المصادر التاريخية من تجارة العبيد والذهب التي تجلب من السودان إلى دولة بنى زيرى3.

نعود إلى تناول بعض المدن الزيرية سيما التي تقع على ساحل البحر وعلاقتها بالتجارة البحرية، فعلى سبيل المثال تعتبر المهدية محطة للسفن الحجازية القاصدة إلى بلاد المشرق والمغرب والأندلس، وبلاد الروم. حيث تجلب إليها البضائع الكثيرة والمقدرة بقناطير الأموال، وهده المدينة تعد مرسى لمدينة القيرون ويصفها الإدريسي بكثرة أسواقها ومتاجرها التي تتزاحم فيها الأمتعة المجلوبة من الداخل والخارج4. كما كان لها علاقات تجارية مع مصر لا سيما تصدير كميات كبيرة من زيت الزيتون5، ويتميز تجارة المهدية بالثراء وحسن الهندام ،وقوة واتساع معارفهم التجارية واستقامة أعمالهم. وعلى بعد ستة أميال من المهدية تقع مدينة

[1] ابن حوقل، مصدر سابق، ص 72.

[2] الادريسي، مصدر سابق ، ص 281.

[3] المقدسي، مصدر سابق ، ص 236.

[4] المالكي، مصدر سابق ،جـ2، ص 320، 321.

[5] الهادي روجي، مرجع سابق ،جـ2 ، ص129.

قصر سلقطة وهي مرسى على ساحل البحر وتشتهر هذه المدينة بوجود سوق البزازين ومنه يصدر هذا الإنتاج إلى الخرج، وتجارها اثرياء تصل صدقت بعضهم إلى اخرج نحو ألفى دينار في السنة1. كما ترسو المراكب في مدينة طبرقة والقادمة من الأندلس لتحمل بضاع وسلع الاقليم، كم تشتهر مدينة قمرنه في تصدير الصوف إلى مصر2.

وبوجه عام نشأت بالمغرب الأوسط أيضًا والذي كان تابعًا للمغرب الأدنى سياسيًا واقتصاديًا مجموعة جديدة من المواني التجارية بلغت ستة مواني، ففي أواسط القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادي أنشأت مجموعة من المهاجرين الأندلسيين بالتعاون مع السكان المحليين مرفأ عرف باسم (تنس الحديثة). واستقروا في حياتها وحولها، ثم انضمت إليهم وفود أخرى من الأندلس والمغرب حتى أصبحت تنس القاعدة الأساسية للتجارة الأندلسية التي تفضى في النهاية إلى ميناء طبرقة، وكان أهل هذا الميناء يصدرون المرجان من الغالة (مرسأ الخرز) والصوف من بونة (عنابة) وفي الشاطئ الشمالي للبحر الأبيض المتوسط كانت المنافسة شديد بين الدول الواقعة في محيط هذا البحر ولا سيما بيزا وجنوة والبندقية، ثم مرسيليا بعد ذلك. وفي الجانب المقابل كانت دولة بنى زيرى في حاجة لكثير من المواد خاصة اللازمة لصناعة السفن وتتمثل في الاخشاب اللازمة لصناعة السفن مقابل تصدير العبيد الذين كانت تجارتهم رائجة في تلك الفترة 3.

مع ملاحظة أن قسمًا كبيرًا من التجارة البحرية يتم بصورة مبشرة بين تجار الدول أو من قبل التجار الزمان بجزيرة صقلية، وأصبحت العمليات التجارية نشيطة بفعل الإعفاءات الجمركية والراجعة إلى الأداة المنظمة له4. وتتم العمليات البحرية

[1] ابن الأثير، كامل في التاريخ ، جـ10، ص 82.

[2] المقدسي، مصدر سابق، ص 236.

[3] الهادي روجي، مرجع سابق ،جـ2 ،ص277

[4] المرجع نفسه، ج2، ص177

التجارية بصيغ العقود البحرية الثلاث المعمول بها من قبل التجار للنصارى في علاقاتهم من تجار المغرب الإسلامي، وهي القرص البحر والشركة البحرية، والشركة التجارية1، وهناك أسلوب آخر يتمثل في شركة التوصية الإسلامية أو القراص2. وهي تقديم مبلغ مالي من صاحب رأس المال على شخص مكلف باستثماره في التجارة، واقتسام الأرباح بالتساوي بين الطرفين حسب نسبة محددة من قبل. وقد ذكر لنا الونشريسي مثالين قريبين من هذه الشركة. الأول عمن دفع لرجل مالًا قراضًا فيسافر به إلى المشرق وكتب بينهما وثيقة فاشترى الرجل بضاعة وحملها في المركب، فلما وصل الانبدوشة انفتح المركب وخشي عليه الغرق ورد سالمًا إلى المهدية، فدفع البضاعة لرب المال وطلبه بالوثيقة.

والمثال الثاني: تاجر دفع إلى بحرى دنانير مرابطية قراضا يسافر بها إلى صقلية، ثم غاب رب المال فلما قدم من سفره سأل البحري عن الدنانير ، قال: كنت في قارب لطيف غير قاربي التي عادتي نسافر فيها من نكبلة(كذا). فأشار الينا من في الحصن المعروف بالركام بأن العدو قريب منا فأخذت جميع ما هي لي وما اشتريت بالدنانير المذكورة فدفعته في الحصن واسلمتها للقائد3. فمن خلال هاذين المثلين يتبين أن شركة التوصية الإسلامية كانت حسب ما أراه من الشركات التي كان له دور كبير في نقل البضائع البحرية ، وكانت صقلية في الجنوب الإيطالي تأخذ دوراً كبيراً في استقبال وارسال البضائع من وإلى الجانب المقابل وهو الدولة الزيرية التي كانت تعتمد على القمح الصقلي ولا سيما في سنوات القحط4.

---

[1] شركة يقدم فيها الشركاء جزءاً من رأس مال ولا يساهمون في الإدارة . انظر روبار برنشفيك ، تاريخ افريقية في العهد الحفصى من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 ،جـ 2 ترجمة حمادي الساحلى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988، ص 288.

[2] الونشريسي ، مصدر سابق ،جـ8، ص206، 207.

[3] الونشريسي ، مصدر سابق ،جـ8، 191 ، 78/4.

[4] المصدر نفسه، جـ8، 191 ، 78/4.

وكان شريكان يملكان قاربًا قد أجراه بمبلغ عشرة دنانير للتحول من صقلية إلى قابس. ولما وصل القارب إلى المهدية أكد الركاب واحد الشريكين، إنهم استأجروه للذهاب إلى قابس، في حين ادعى الشريك الآخر أن القارب قد استؤجر للتوجه إلى المهدية1.

ومما يجد ذكره أن أهل أفريقية قبل غزوة بنى هلال يتعاطون التجارة مع صقلية لا سيما تجارة القمح الصقلي الذي كان يجلب من الجنوب، وفي ذات الوقت وخلافا لما كان متوقعا لم تشر الفتاوى الصادرة من العصر الصنهاجي إلى تصدير الزيت أو النسيج إلى صقلية2.

غير أن بعض الرحالة ومنهم البكرى أكد على أن أهل صقلية كانوا يستوردون الزيت من أفريقية عن طريق ميناء صفاقس3. وتشير فتاوى المازرى على أن الاستثمار لم يكن متوقع على التجار الرجال فقط بل تعدى ذلك إلى النساء فعلى سبيل المثال لا الحصر بأن امرأة سلمت مجوهراتها وخاتما من ذهب وسواراً كبيراً من الفضة إلى شخص مكلف وذلك لبيعها في صقلية على أن تشترى بثمنها طعاما (أي قمحاً) يروجه في المهدية على أن يتحصل كل طرف على نصف الأرباح4. كما سلم تجار إلى بحار دنانير مرابطية يتجار بها في صقلية اقترضة. فغاب رب المال، ولما رجع تولى محاسبة البحار الذي صرح له إنه افترض" قاربا لطفا" ( أي خفيفاً) غير القارب الذي اعتاد أن يسافر على متنه من صقلية إلى أفريقية. وأثناء الرحلة نبه مقيمون في حصن اسمه " الركام" الركاب إلى اقتراب

[1] المصدر نفسه، جـ8، 320 . 321.

[2] البكرى ، مصدر سابق، ج2، ص 20.

[3] الونشريسي ، مصدر سابق ،جـ8، ص208.

[4] المصدر نفسه ،جـ8، ص 207

العدو. فتخلى البحار من القارب، وأخذ كل ما في السفينة، وبالخصوص السلع (أي بلا شك الحبوب) التي اشتراها بدنانير رب المال، سلمها إلى قائد الحصن 1.

تشير بعض المصادر والمرجع التاريخية إلى وجود علاقة تجارية بين الجمهوريات الإيطالية والشمال الأفريقي، فعلى سبيل تتولى سفن البندقية نقل الأقمشة البديعة ذات الألوان الزاهية من طرابلس إلى جنوب أوروبا. ومما يؤكد ذلك أن المواد الخام اللازمة لهذه الصناعة كان النساجون الأفارقة يجلبونها من البندقية بواسطة السفن التي ترسو في موانى المهدية وطرابلس2. وقد حزت جنوة وبيزا حذو البندقية من حيث زيادة نحو المبادلات التجارية مع موانى الشمال الأفريقي مع وجود تنافس قوى بينهما وبين مدن البروفانس في جنوب فرنسا مثل منبولييي ومرسيليا إلى الحد الذي جعل المدينتان توقعان حلفا هجوميا ودفاعيا موجه ضد المسلمين خاصة في المغرب الاقصى3.

**النتائج**

1- تعتبر دولة بنى زيرى الصنهاجية نموذج رائع بين الدول الاسلامية التي نشأت في المغرب الإسلامي في العصر الوسيط وذلك على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

2- حققت الدولة على معدلات لها في الارادات المالية بفضل حركة التجارة الداخلية والخارجية، وذلك بفعل حياة الاستقرار التي شهدتها الدولة في فترتها الأولى.

---

[1] الهادي روجي، مرجع سابق ، ص277.

[2] عبدالعزيز الدورى، تاريخ العراق الاقتصادي ، ص 199.

[3] الحبيب الجنحاني ، التمويل الاقتصادي والاجتماعي في مجتمع صدر الإسلام ص134.

3- يرجع هذا التطور على المستوى الاقتصادي بفعل شبكة الطرق المتعددة التي ربطت شرق الدولة بغربها وبشمال الدولة الى جنوبها. وتعدى ذلك إلى العمق الأفريقي.

4- ترتب على حياة الاستقرار أن نشأت علاقات وثيقة بين المدن الزيرية وأصبح التعامل الاقتصادي بينها مسألة حتمية.

5- أدت سياسة الدولة المتوازنة على ربط الدولة بغيرها من مدن والجمهوريات الأجنبية خاصة في الضفة الشمالية للبحر المتوسط.

ساعد حوض البحر المتوسط الغربي على خلق علاقات قوية بين الدولة وجيرانها على مستوى التجاري حتى أن حركة السفن المتجهة إلى الشمال والعكس أصبحت حركة دائمة .

## قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم

2. ابن الاثير، الكامل في التاريخ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي كرم ( توفي 630 هـ ) الكامل في التاريخ ، ج5، القاهرة ، 1357م.

3. بن خرداذبة، المسالك والممالك، مكتبة مثنى، بغداد، (د.ت)

4. أبو عبدالله أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة ليدن المحروسة، ط2 ،1909.

5. أحمد بن يحيي الونشريسي، العيار المقرب واجامع مغرب من فتوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، جـ9، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.

6. الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة بريل، المدينة المحروسة، 1963.

7. أبو عبد الله البكرى، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب،( جزء من كتاب المسالك والممالك)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت)

8. أبو القاسم النصيبي ابن حوقل، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة بيروت، 1979م.

9. عبدالواحد المراكشي، المعجب في تلخيص المغرب، ترجمة سعد العريان، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، (د.ت)،

10. عبدالله محمد المالكي، رياض النفوس، جـ1، ترجمة بشير البكوش، دار صادر، بيروت

11. أبو العباس أحمد بن أبي عثمان الشماخي، كتاب السير، جـ1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2009م.

12. ابو عبدالله محمد بن على بن عمر التميمى المازرى، فتوى المازربتونس دار النشر الدار التونسية، تونس، 1994 م

13. سيف الدين لكاتب، أطلس تاريخ العرب والإسلام، دار الشرق العربي ، ط2، بيروت، 2007م،

14. الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لافريقيا فيما وراء الصحراء، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999.

15. الهادي روجي ادريس، تاريخ افريقية في عهد بنى زيرى من القرن 10 الى القرن 12، ترجمة حمادي الساحلي، جـ2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1912.

16. روجي دى فورنو، حركة الموحدين في الغرب في القرن 12، 13 ترجمة أمين الطيبي – الدار العربي للكتاب، ليبيا، تونس، 1982.

17. صالح السباني، مملكة كانم برنو وعلاقاتها بأقطار الشمال الأفريقي من القرن الثالث إلى العاشر الهجرى/ التاسع إلى السادس عشر الميلادى، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1988

18. الحبيب الجنحاني، التمويل الاقتصادي والاجتماعي في مجتمع صدر الإسلام، دار الغرب، بيروت، 1985.

19. حسن إبراهيم حسين، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، جـ4 مكتبة النهضة العربي، القاهر، 1977م.

20. سيف الدين لكاتب، أطلس تاريخ العرب والإسلام، دار الشرق العربي، ط2، بيروت، 2007م،

21. روبار برنشفيك، تاريخ أفريقيا في العهد الحفصى من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، جـ2، ترجمة حمادي الساحلي رواد الغرب الإسلامي، بيروت

22. روبار برنشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصى من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 ، جـ 2 ترجمة حمادي الساحلى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988

23. عبدالعزيز الدورى، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجرى ، مركز دارسات الوحدة العربية ، ط2، 1955، ص 1995م.

24. إمطير سعد غيث، التأثير العربي الإسلامي في لسودان لغربي، دار الرواد، بنغازي، 1996م.